عندما أعطت مصر قبلة الحياة لمصنع التوربينات الألمانى

مصر الغد

بقلم:
د. م. نادر رياض
www.naderriad.com

قد لا يرى البعض أن قصص النجاح يقسم الفضل فيها بين أطرافها. فقلما ينسب الفضل فى النجاح لطرف دون الآخر. وأفضل الأمثلة على ذلك قصة النجاح المصرية الالمانية فى إحداث انطلاقة كبرى لتوليد الطاقة فى مصر لتواكب احتياجات المستقبل الطموحة.

وقد رأيت شأن الآخرين أن فى تدعيم الطاقة الكهربائية بهذا القدر من القدرة المؤثرة والفعالة والتى تزيد على ٤٠٪من الطاقة الفعلية المتاحة من قبل والتى تغطى احتياجات أكثر من٤٠مليون مصرى بكامل أنشطتهم الصناعية بما يوفر مليار دولار سنويا كقيمة وقود فى حالة توليد هذه الطاقة بالوسائل التقليدية القديمة وهو أمر له أهميته القصوى رغم ارتفاع معدلاته عما هو مألوف دوليا ناهيك عن محليا.

وقد أعجبت بالخطوة ليس فقط على المستوى الشخصى من أن الكهرباء لن يتكرر انقطاعها عن المواطنين كالجارى من قبل بل يتعدى ذلك إلى أن مفهوم الطاقة الكهربائية هو توفير القوى المحركة للمصانع والقطارات ووسائل الإنتاج وهو المحرك الرئيسى لإطلاق كافة الأنشطة الاقتصادية لتحقيق طموح الدولة الذى يصب فى مصلحة الفرد فى النهاية.

وتكمن عبقرية هذا القرار الشجاع فى أن سداد كلفة اقتناء هذه الطاقة الكهربائية العملاقة سيتم من عائد تسويق الكهرباء على مختلف الأصعدة ومنها الدول المجاورة. وكم أسعدنى أن التكنولوجيا المطبقة تمت على أحدث المستويات التقنية التى نقلت مصر الى مصاف أحدث ما تقتنيه الدول الغربية من تكنولوجيا فى توليد الطاقة.

وتتمثل قصة النجاح تلك فى أن حجم المشروع المصرى الالمانى هذا كان الأكبر فى تاريخ شركة سيمنس على الإطلاق وهو ما مكن الرئيس السيسى من التفاوض على مزايا سعرية أشاد بها رئيس شركة سيمنس فى كلمته أمام العالم فى الافتتاح المتزامن لمحطات البرلس وبنى سويف والعاصمة الإدارية الجديدة والذى لم ينس أن يقتسم نجاح شركة سيمنس الألمانية مع شركتى أوراسكوم للإنشاءات والسويدى للكابلات وهما شركتان مصريتان تقتسمان معه النجاح.

ويحضرنى فى هذا المقام المسار التاريخى لأحد أكبر المصانع الألمانية التى تملكها شركة سيمنس والذى كان المحور الرئيسى فى صناعة محركات التوليد لمحطات الطاقة الموردة إلى مصر آلا وهو مصنع سيمنس للتوربينات الغازية فى برلين والذى نشأ عام ١٨٩٢وعمل كمورد رئيسى للترام الكهربائى الذى بدأ انتشاره فى ألمانيا فى هذه الحقبة. وفى عام ١٩٠٤انتقلت ملكيته إلى شركة AEG حيث بدأ عصر البخار فشارك فى هذه النهضة الصناعية بالتحول فى اتجاه صناعة التوربينات البخارية والذى أسهم بها فى نهضة ألمانيا كمنافس دولى جديد فى عصر البخار، كما أنشأ على التوازى صناعة القطارات الكهربائية بجانب التوسع المضطرد فى صناعة التوربينات الغازية والتى حافظت لألمانيا على تفوقها فى هذه الصناعة حتى يومنا هذا.

اجتاز هذا المصنع العملاق فترتى الحرب العالمية الأولى والثانية وخرج من كل منها مدمرا بالكامل ليعاد بناؤه على أحدث ما يكون لتترسخ إمكانياته ويتعاظم دوره فى دعم الاقتصاد الألماني.

انتقلت ملكية هذا المصنع العملاق إلى شركة سيمنس عام ١٩٧٧حيث وصل إنتاجه إلي٨٠٠ وحدة توليد كهرباء تعمل بالتوربينات الغازية تم توريدها بنجاح لأكثر من٦٠دولة، ومع عام ٢٠١٥بدأ هذا المصنع يعانى من مشاكل اقتصادية حادة فى ظل ما يكتنف أوروبا من منافسة تحكمها اقتصاديات السوق الحر مع وجود ٣٧٠٠ عامل وكذا تراجع الطلب على التوربينات الغازية مع توسع ألمانيا والدول الأوروبية فى استخدام طاقة الرياح وتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية سواء على مستوى الأفراد فى المنازل أو على مستوى المحطات الأرضية، دخل المصنع بعد ذلك فى مرحلة إعسار اقتصادى يتحتم معه خفض العمالة من٣٧٠٠ عامل نصفهم من المهندسين إلى ما يقل عن ٨٠٠عامل ضمن خطة إصلاح قاسية لاح معها شبح إغلاق هذا المصنع بالكامل خروجا من نفق الخسائر الممتدة.

احتدم الجدل فى الأوساط الاقتصادية الألمانية حيث لم تكن الحكومة بمعزل عن ذلك الجدل فى محاولة لترجيح مبدأ إغلاق المصنع أو التوقف عن النشاط أو تطبيق خطة قاسية للإصلاح الاقتصادي.

وجاءت صفقة القرن مع مصر بما يعادل أكبر صفقة فى تاريخ شركة سيمنس الممتدة لأكثر من١٠٠ عام لتعطى قبلة الحياة لهذا المصنع العريق ذى الإمكانيات المتميزة ليقف مرة أخرى على أقدام راسخة وينتج أحدث مستجدات العصر من تكنولوجيا كانت تداعب أحلام مهندسيه وخبرائه. فمرحبا بالنجاح الذى يتقاسمه أطرافه أخذا وعطاءً لتعظيم القيمة المضافة. ويكفينا فخراً أن مصر كان لها إسهامها التاريخى الذى ستذكره لها شركة سيمنس ومن ثم الدولة الألمانية ليسجل فى سجل العلاقات المتميزة بين الدول عبر البحر المتوسط الذى يربط بين الشرق الأوسط وأوروبا.

رئيس مجلس الأعمال المصرى الألماني

جريدة الاخبار (صفحة ١٦) ٢٠١٨/٨/٧